الرسالة

(٢ تيمو ٤: ٥–٨)

يا ولدي تيموثاوس تيقَّظ في كلِّ شيءٍ واحتَمِل المشقَّاتِ واعمَلْ عملَ المبشِّر وأوفِ خدمتَكَ* أمَّا أنا فقد أُريقَ السَّكيبُ عليَّ ووقتُ انحلالي قدِ اقتربَ* وقد جاهدتُ الجِهادَ الحسنَ وأتممتُ شَوْطي وحفظتُ الإيمان* وإنَّما يبقى محفوظاً لي إكليلُ العدلِ الذي يجزِيني به في ذلكَ اليومِ الربُّ الديَّانُ العادل لا إيَّايَ فقط بل جميعَ الذينَ يُحبُّونَ ظُهورَهُ أيضاً.

الإنجيل

(مرقس ١: ١–٨)

بدءُ إنجيلِ يسوعَ المسيحِ ابنِ الله كما هو مكتوبٌ في الأنبياءِ: هاءنذا مُرسِلٌ ملاكي أمام وجهِك يُهيّئُ طريقَك قدَّامَك* صوتُ صارخٍ في البّريَّة أعِدُّوا طريقَ الربِّ واجعَلوا سُبلَهُ

الختان

تمّت ختانة الربّ يسوع في اليوم الثامن بعد ميلاده، حسب ناموس العهد القديم اليهوديّ، ذلك لأنّ الربّ أراد الحفاظ على قوانين بيئته. بما أنّ الآباء قرّروا التعييد لميلاد الربّ يسوع في ٢٥ كانون الأوّل، كان طبيعيًّا أن يعيَّد للختان في الأوّل من كانون الثاني، أي بعد ثمانية أيّام من ميلاد السيّد. يرمز الرقم «ثمانية» إلى الحياة الجديدة، لأنّ الزمن يقف عند الرقم «سبعة»، كون الأسبوع سبعة أيّام، أمّا اليوم الثامن فهو في الأبديّة ويرمز إليها، ويشير إلى الولادة الجديدة.

لماذا الختان؟ إنّه عهد بين الله والبشر: «وهذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك: يُختن كلّ ذكر. فتُختَنون في لحمِ غُرلَتكم فيكون علامةَ عهدٍ بيني وبينكم. ابن ثمانيةِ أيّامٍ يُختن منكم كلُّ ذَكَرٍ في أجيالِكم. وليدُ البيتِ والمبتاعُ بفضّةٍ من كلّ ابن غريبٍ ليس من نسلِك» (تك ١٧: ١٠–١٢).

إرتبط الختان بالصلاح والتقوى وطاعة الناموس، وهو يشير إلى الإسرائيليّ الطاهر، بينما عدم الختان يشير إلى الأمم الوثنيّين الذين لا عهد بينهم وبين الله. إنّه علامة على أنّ مَن أتمّه ينتمي إلى شعب الله. تلافى الإسرائيليّون، بهذه الطريقة، الزيجات المشتركة ونتائجها، أي التغرّب عن الإيمان المعلَن. يُخبرنا القديس إبيفانيوس أنّ الختان كان كَختم على أجساد الإسرائيليّين، مذكّراً وضابطًا إيّاهم ليبقوا «على إيمان آبائهم».

لماذا اختتن المسيح؟ أوّلاً، من أجل إظهار احترامه للناموس، إذ لم يأتِ ليبطله بل ليحفظه ويكمّله (مت ٥: ١٧). أراد أيضًا أن يُظهر اتّخاذه طبيعةً بشريّةً حقيقيّةً، وهذا غاية في الأهميّة، إذ ظهرت في القرون الأولى الهرطقة الدوكيتيّة القائلة بأنّ المسيح لم يتّخذ طبيعةً بشريّةً حقيقيّةً، بل كان جسده ظاهريًّا خياليًّا، الأمر الذي أدّى إلى الاستنتاج بأنّ المسيح لم يُصلب على الصليب إذ لم يكن له جسد حقيقيّ. أخيرًا، لم يكن الختان تهيئة للجنس البشريّ لحضور المسيح وحسب، بل مثالاً أو تصويرًا مسبقًا للختان الذي لم تقم به أيادٍ بشريّة، أي المعموديّة المقدّسة. كما أنّ الختان يقطع من الجسد جزءًا لا نفع

العدد ٥٣ / ٢٠١٧
الأحد ٣١ كانون الأول
وداع الميلاد
تذكار القديسين يوسف الخطيب
وداود الملك ويعقوب أخي الرب
والبارّة ميلاني
اللحن الخامس
إنجيل السَحَر الثامن

لـه، تـعزل المعـموديّةُ الخطيئةَ التي لـيست حـالـة طـبيـعيّة بـل شـاذّة. المعموديّة هي ختان لا يعزل المرء عـن أمّـتـه، بـل يـفصل بين المؤمـن وغير المؤمــن الــعـــائش في الأمّــة نفسها.

إنشغلت الـكنـيسة كثيراً بعد الـعـنصرة، بمسـألـة وجـوب ختـان المهـتديـن إلى الإيمـان المسيـحيّ أو عدمـه. نشـأت المشكـلـة عـندمـا كـان المسيحيّون اليهود «يعلّمون الإخوة، فـيـقـولـون: لا خـلاص لكم إلا إذا اختـتـنـتم علـى شريعة موسى» (أع ١٥: ١). إعـتبروا أنّ علـى الـوثـنيين الحفـاظ علـى نـامـوس الـعهد القديم بما فيه الختان، بما أنّ العهد القديم سبـق الجديد. عـندئـذٍ، عُقِدَ المجمـع الرسوليّ في أورشليم واتّخذ الرسل الـقدّيـسـون الـقـرار الـتـالي: «الـروح القدس ونحن رأينا ألاّ نحمّلكم من الأثـقــال إلا مـا لا بدّ مـنـه، وهـو أن تمتـنـعوا عـن ذبـائح الأصـنام، وعن الدم والحيوان المخنوق والزنى. فإذا صنتم أنفسكم منها، فحسنًا تفعلون. والـلـه مـعكم» (أع ١٥: ٢٨-٢٩). يعني هذا أنّه ليس على الآتين من الأمم أن يـخـتـتـنـوا، بـل أن يـحفظوا أنفسهم أنقياء، ممسكين عن تقدمات الأوثـان والدم والمخنـوق والـفـجـور الجنسيّ. لقد تمّ استبدال الختان بسرّ المعـمـوديّـة المقدّسـة. يصير الـبـشر، بـواسطـة الختـان، إسـرائـيـلـيّين، أي شعب الله المختار، أمّا بالمعموديّة فـيصبـحـون أبـنـاء لله. قال الرسول بولس إنّ الختان لا قيمة له بذاته، إلاّ إذا ارتبط بالإيمان وحِفْظ الوصايا. فلا الختان ولا عدمه ينفع الإنسان، بـل الـذي يـنـفـعـه أن يـكون خـلـيـقة جديدة: «لأنه في المسيح يسوع ليس الختـان يـنـفـع شيـئـاً ولا الـغرلة بل الخليقة الجديدة» (غل ٦: ١٥). مَن كـان مختـونًـا ولم يـتمّـم الـنـامـوس يـكون خـتـانـه بـاطـلًا، ومَن لم يكن مختـونًـا سوف يُـنظر إلـيـه وكـأنّـه اختتن إن حفظ متطلّبات الناموس: «فـإنّ الختــان يـنـفـع إن عـمـلـتَ بـالـنـامـوس، ولـكن إن كنت متعدّيًا الناموس، فقد صار ختانك غرلة (لا خـتـان). إذًا، إن كـان الأغـرل (غير المختـون) يـحفظ أحكام الناموس، أفما تُحسب غرلته ختانًا» (رو ٢: ٢٥-٢٦).

يبقى أن نجيب عن السؤال التالي: لماذا ختانة السيد؟ هل كان بحاجة إليها؟ طبعًا لا. إنّ طروباريّة العيد توضح ذلك: «إنّك وأنت إله بحسب الجوهـر قد اتّـخذتَ صورة بشريّـة بغير استحالة، وإذ أتممتَ الشريعة تقبّلتَ باختيارك ختانًا جسديًّا...». كما قَبِلَ المسيح، رأس الكنيسة، أن يُلفّ بأقمطة بسبب محبّته وتحنّنه، كذلك اقـتـبـل الختـان بـالجسد. لذلك يقول بولس الرسول في رسالته إلى أهل كورنثوس: «فحينئذٍ الإبن نفسه أيضًـا سـيـخضـع لـلّذي أخضـع لـه الكلّ» (١ كو ١٥: ٢٨).

الظهور الإلـهيّ

يسـمّـى عـيد «الـغطـاس» أو «مـعـموديّـة الـربّ يسوع» كنسيًّـا «الظّهور الإلهيّ». نعيدّ في هذا العيد لمجيء الــربّ يسـوع إلى يـوحـنّـا المعمدان، الذي كان يعمّد الشعب في نهر الأردن، لكي يقتبل المعموديّة من يد سابقه النبيّ يوحنا. سمّته كنيستنا المقدّسة «الظهور الإلهي»، لأنّ فيه حدث الظهور العلنيّ للإله المثلّث الأقانيم: الآب والإبن والروح القدس. يخبرنا الكتاب المقدّس عن ظهور ثـلاثـيّ، فنرى **المسيح** ينزل إلى المياه ويعتمد، وعند خروجه من المياه يُسمع صوت **الآب** من السماء مؤكّـدًا أنّ هذا هو ابن الله الحبيب الـذي بـه سرّ الآب، ويُشـاهَد **الروح القدس** يحلّ عليه بهيئة حمامة.

أمضى الربّ يسوع ثلاثين سنةً على الأرض منذ يوم ميلاده حتّى قويمةٍ كـان يـوحنّـا يعمّدُ في البرّيَّة ويكرزُ بمعموديةِ التوبةِ لغفرانِ الخطايا* وكان يخرجُ إليهِ جميعُ أهلِ بلدِ اليهوديةِ وأورشليمَ فيعتمدون جميعُهم منهُ في نـــهـــرِ الأردن مـــعترفين بخطاياهم* وكان يوحنا يَلبسُ وَبَرَ الإبلِ وعلى حَقَوَيْهِ مِنطقةٌ من جلدٍ ويأكلُ جراداً وعسلاً برّيًّا* وكان يكرزُ قائلاً إنَّهُ يأتي بعدي مَن هو أقوى منّي وأنا لا أستحقُّ أن أنحنِيَ وأحُلَّ سَيْرَ حِذائهِ* أنا عمَّدتُكم بالماءِ وأمَّا هو فيُعمِّدُكم بالروحِ القدسِ.

تـأمل

«معترفين بخطاياهم».

التوبة تغييرٌ للحياة.

علـى المرء أن يـذهب إلى كـاهـن ويـعترف، ويـبـوح بما يُـقـلـق ضميره ويبدّد سـلامـه الداخـلـي. بـعد الإعتراف يشـــعـــر المرءُ دائـمـاً بـأنـه أخـفّ. لقد خَلَقنا اللهُ بشكل يجعلنا نـؤثـر بـبـعضـنـا الـبعض. حين يشـــفـــق قـــريبٌ أو صديق لنا على معاناتنا نشعر للحال بالتعزية وبأننا أقوى. والتوبة على نحو مماثل هي تغيير

للحياة. يجب أن نبدّل طريقة تفكيرنا لأن الحياة قد سدَّدت لنا ضربات كثيرة. ونرى بأن العالم أجمع يعاني بسبب هذا الأمر. فإن انعطفنا نحو الله، ينبوع الحياة، فسيمدّنا بالقوّة لنصبح متجذّرين في الأفكار الصالحة، الأفكار الهادئة والسلامية والعطوفة والمليئة بالمحبة. ولسوف تسطع توبتنا الصادقة لأن الأفكار الصالحة والرغبات الطيبة ومشاعر الحب تشعّ بالسلام وتمنح التعزية لكل كائن.

لقد أصبحتم تدركون الآن ماهية التوبة. فالتوبة هي تحوّل قلبِ المرء بالكامل باتجاه الصلاح المطلق، وليس تحوّل القلب فقط، بل الذهن والمشاعر والجسد وكل كيان المرء أيضاً. التوبة هي اتحاد المحبة مع أبينا وخالِقِنا اتحاداً لا ينفصم. ولذا علينا أن نكون في كلّ حين في حالة الصلاة وألا نكفَّ عن الطلب إلى والدة الإله أن تمنحنا القوة لكي نحبه كما تحبُّه هي مع القديسين والملائكة. وعندها سنتبارك في هذه الحياة وفي الأبدية

ظهوره العلنيّ الأوّل في نهر الأردنّ. كانت رسالة الآب تأكيدًا على أنّ هذا الشخص هو ابنه الحبيب الذي تكلّم عنه الأنبياء. لا نعرف الكثير عن طفولة الربّ يسوع لأنّه لم يكن له أيّ ظهور علنيّ أو عمل بشاريّ في تلك الفترة. كان ينمو وينضج (بشريًّا) كما هي عادة اليهود. إنّ عمر النضوج عند شعوب تلك العصور كان الثلاثين. لم ينقُص الربّ يسوع في مرحلة نموّه شيءٌ من الحكمة أو المعرفة، الأمر الذي يظهر من نقاشه مع الحكماء في الهيكل وهو في الثانية عشرة من عمره. كان هذا الإنتظار من أجل أن يقبل الناس كلام الربّ يسوع إذ سيكون خارجًا من فم إنسانٍ بالغ. لم يكن للربّ أيّ ظهورٍ علنيّ غير حضوره في الهيكل حيث أظهر كمال معرفته للكتب المقدّسة منذ طفولته. عندما حان أوان ظهوره العلنيّ، كان هذا الظهور ثلاثيًّا مع الآب والروح.

ظهر الإله على الأرض بعد أن تأنّس (صار إنساناً) آخذًا جسدًا ليخلّص الإنسان الذي سقط قديمًا. عظمة هذا الظهور الإلهي توازي عظمة تدبير سرّ التجسّد. لم يأتِ الإله ليقتبل معموديّة التوبة التي كان يوحنّا يدعو الناس إليها. هنا نفهم الحيرة التي وقع فيها يوحنا إذ قال للسيّد: «أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إليّ» (مت ٣: ١٤). أدرك يوحنا أنّه ماثلٌ أمام سيّد الملكوت الذي يقترب، لذا ارتبك من تعميده.

ظهر الإبن للمجوس والرعاة في الميلاد، واليوم في المعموديّة يظهر الثالوث القدّوس لخلاص الجنس البشريّ. لم يكن الربّ في هذا الظهور محتاجًا للتوبة هو المنزّه عن الخطأ وحده. لكنّنا نلاحظ من هذا الظهور قرب الله من خليقته، وهو الذي لم ينسها أو يُشح بنظره عنها أو يتركها بعد وقوعها في المعصية، بل تنازل إليها كليًّا. نزل الإله في المياه معتمدًا ومقدِّسًا طبيعة المياه، أي معيدًا الطبيعة إلى الحالة الأولى قبل السقوط.

أسّس لنا الرب بظهوره سرّ المعمودية المقدّسة. المعموديّة بالماء، التي كان يتمّمها يوحنّا تحوّلت إلى معموديّة بالروح القدس يتمّمها الكاهن في الكنيسة، الأمر الذي سبق ليوحنا أن أنبأ به قائلاً: «أنا أعمّدكم بماء ولكن يأتي مَن هو أقوى منّي الذي لست أهلاً أن أحلّ سيور حذائه. هو سيعمّدكم بالروح القدس ونار» (لو ٣: ١٦). المعموديّة بالروح القدس هي ولادةٌ جديدة للمسيحيّ، ولادةٌ في المسيح يسوع، لذلك نرتّل في سرّ المعموديّة: «أنتم الذين بالمسيح اعتمدتم، المسيح قد لبستم». لم تعد المعموديّة للتوبة فقط، بل أصبحت فِعلَ ولادةٍ نلبس، من خلالها، المسيحَ ونتحد به. لقد سترت معموديّة يسوع عُريَ آدم، الذي ورثته البشريّة، لنعود إلى نقاء الصورة التي كانت للإنسان في الفردوس قبل السقوط. إذًا، المعموديّة هي عودةٌ إلى حالة المجد التي كنّا فيها حين خلَقَ الله الإنسان وسلّطه على كلّ الخليقة كسيّدٍ لها وابن للّه يَنعَم بعطايا أبيه: «لأنّكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع. لأنّ كلّكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح. ليس يهوديٌّ ولا يوناني. ليس عبدٌ ولا حرٌّ. ليس ذكر وأنثى لأنّكم جميعاً واحد في المسيح يسوع» (غل ٣: ٢٦–٢٨). في المعمودية نموت مع الرب يسوع، نُميت الإنسان العتيق فينا المجبول بالخطيئة، ونقوم معه إلى حياة جديدة: «فدفنّا معه بالمعمودية للموت حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب، هكذا نسلك نحن أيضاً في جدَّة الحياة» (رو ٦: ٤). تؤكّد لنا

الكنيسة، في هذا العيد، أنّ اللّه يرافقنا بروحه القدّوس الذي ننناله في سرّ المعموديّة، مثلما حلّ على المسيح في نهر الأردن. لذا علينا أن نحافظ على رداء المعموديّة ونكون مستعدّين لسماع صوت الآب مناديًا إيّانا كأبناء محبوبين له.

مدرسة الثلاثة الأقمار

قبل ظهر الثلاثاء ١٩ كانون الأول، زار سعادة سفير فرنسا السيد برونو فوشيه مدرسة الثلاثة الأقمار، التي نالت السّنة الماضية علامة الجودة Label FrancÉducation، بحضور سيادة متروبوليت بيروت وتوابعها المطران إلياس الجزيل الإحترام واداريي المدرسة ومعلميها ومتعلّميها. تمنح الوزارة الفرنسية للشؤون الخارجيّة والتنميّة الدوليّة، علامة Label FrancÉducation بناءً على نتيجة تقييم لجنة استشاريّة من عدة وزارات، للمدارس الأجنبية التي تعمل على تعزيز التّنوع الثّقافي واللغوي وعلى تأمين التّعليم الفرنكفوني المتميّز.

بدأت الزيارة بجولةٍ في أرجاء المدرسة، فاكتشف السفير طابعها التّاريخي بعد مشاهدته معرضًا للصور والوثائق القديمة. تأسّست مدرسة الثّلاثة الأقمار سنة ١٨٣٥ وكانت تسمى «المدرسة الكبرى» إذ كانت أكبر مؤسسة تربوية في العاصمة. كانت تعلّم آنذاك، إضافةً إلى اللغة العربية، عدّة لغات حيّة كاليونانية والتركية والفرنسية والإنجليزية، وقد ترك عددٌ من متعلّميها ومعلّميها أثرًا مميّزًا في تاريخ لبنان ومنهم: نعمة يافث، بشارة الخوري (الأخطل الصغير)، جبران أندراوس التويني (السفير والوزير مؤسس جريدة النهار) والدكتور نقولا يوسف فياض (شاعر وطبيب ونائب)، وكذا الكثير من أعلام الكنيسة الأرثوذكسية أمثال البطاركة غريغوريوس الرابع وثيودوسيوس السادس (وكانا من التلامذة) وإغناطيوس الرابع (كان فيها معلّما في الأربعينات من القرن الماضي).

حصلت المدرسة، في إطار متابعة رسالتها التربوية على المستوى الوطني، على علامة CELF سنة ٢٠١٣، وأدخلت الكتب الرقمية التّفاعلية ضمن طرائق التعليم سنة ٢٠١٤، وحصلت على علامة الجودة Label FrancÉducationسنة ٢٠١٦.

بعد ذلك، تابع السفير فوشيه يوم تدريس عادياً حقيقياً، اطلع خلاله عن كثب على كيفية تطبيق الفلسفة التّربوية التكاملية المتبعة في المدرسة، وعلى عدّة برامج مبتكرة.

أدخلت مدرسة الثلاثة الأقمار، الرائدة في اعتماد تعدد اللغات، ضمن مناهجها اللغة الفرنسيّة منذ العام ١٨٨٠، وهي تساهم اليوم مع شريكاتها في شبكة مدارس EDUVATION في استمرار تقليد يناهز القرنين من العمر، ألا وهو اعتماد لغة وثقافة هما جزء من تاريخ لبنان لا بل من التراث العالمي.

رأس السنة

بمناسبة ذكرى ختانة ربنا يسوع المسيح بالجسد وتذكار أبينا الجليل في القديسين باسيليوس الكبير ورأس السنة يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس صلاة السَحَر عند التاسعة والقداس الإلهي عند العاشرة من صباح الإثنين ١ كانون الثاني ٢٠١٨.

على السواء. لأن الله محبةٌ وسلام وفرح، وهو يملأ كلّ كائن يلتمسه من القلب.

وهكذا أصبح من الواضح أننا إن ابتغينا الخير لأنفسنا وللقريب وجب علينا أن نتغيَّر. إذ لا تؤثر أفكارنا فينا وحسب بل في كل ما يحيط بنا أيضاً. لهذا يجب ألا نُصدِر سوى الأفكار الصادقة، الهادئة والودودة. يوصينا الربُّ بأن نحبّ أعداءنا، وليس ذلك من أجلهم بل من أجلنا نحن. لأننا كلما غُصنا في ذكرى إساءةٍ تلقيناها من صديق أو من أحد المعارف أو الأقارب فلن يكون لنا سلامٌ ولا راحة. يجب أن نتحرَّر من مثل هذه الأفكار. وهذا يعني أنَّ علينا أن نسامح من القلب. يجب أن نسامح على كل شيء. ولسوف يجلب لنا السلامُ الذي نشعر به بعد ذلك إحساساً بالراحة والفرح وانشراح الصدر، وليس فقط لنا بل لكلّ المحيطين بنا أيضاً. وسيشعر الجميعُ بأثر أفكارنا، إن كانت أفكارنا ودودة وسلامية.

الشيخ تداوس الصربي